عبيد المورفين

شاع التبغ رغماً عن مقاومة رجال الدين ورجال السياسة حتى اضطرّت الحكومة ان تكفّ عن مقاومته واضطرّ الاطباء ان يتناسوا مضارّه والعلماء ان يعدلوا عن منافعه . وشاع الحشيش ايضاً وشيوعه حديث والمقاومة له لم تزل شديدة ولا نعلم ما اذا كان يُغلَب فتسلم البلاد من شرّه او يغلب فيؤدي بكثيرين من اهاليها الى الخمول والجنون . واما المورفين المستخلص من الافيون فكنا نظن ان البلاد بأمن منه وان الولع به لا يصل من الصين اليناحتى تنتشر المعارف في البلاد و يصير الناس يهربون منه كما يهربون من الافعى ثم اخبرنا طبيب من نطس الاطباء ان عبيد المورفين قد صاروا كثاراً في هذا القطر ولاسيما في البيوتات الكبيرة . وكنا قد رأينا تقريراً للدكتور زمباكو قدمه للمؤتمر الطبي الذي انعقد في اثينا عام ١٨٨٣ قال فيه "رأيت كثيرين من الاعيان في بلاد الدولة العليّة ومع كلٍّ منهم مضمّة صغيرة وشيء من محلول المورفين . ورأيت النساء الشريفات يعلقنّ في حلاهنّ مضخات صغيرة وقناني فيها محلول المورفين ويحقنّ المورفين في ابدانهنّ وهنّ في المراتح والمحافل العمومية خلية عن العيون" فلما علمنا ذلك ورأينا ما حلّ ببعض معارفنا الذين استعملوا المورفين دواء قولعوا به ولم يعودوا يجدون الى تركه سبيلاً اقتطفنا بعض ما يأتي من رسالة للدكتور شاركي عسى ان يطلع عليه بعض الذين اخذوا في استعمال المورفين فيسرعون الى تجنبه قبل التعوّد عليه والولوع به ويشبث الاطباء بمنع استعماله الاّ عند الضرورة الشديدة

ان استعمال المورفين لتسكين البال وقتل الوقت قد شاع الآن في عواصم اوربا ولاسيما في باريس . قال الدكتور بول ريتارد ان النساء في باريس يجتمعن ومع كل واحدة منهنّ مضخة فضة وشيء من المورفين فتفتح في يدها او رجلها لكي تتمتع بما يناله منه من الخدر ولكنها تضطرّ ان تزيد كمّية المورفين يوماً بعد يوم لان جسمها يعتاده فلا يتأثر بالمقدار الذي كفاه بالامس

وقال ايضاً "ان الولع بالمورفين لا يحصل دائماً من استعماله لتسكين الالم فان كثيرين يستعملونه الآن كما يستعمل غيرهم التبغ والخمر بل كما يستعملون اللعب والغناء للتسلية وقتل الوقت والذين يستعملونه من خاصة اهالي باريس ولندن وبرلين"

ويظهر مما قاله غيره من الذين كتبوا في هذا الموضوع ان شيوع الولع بالمورفين

يتج بالاكثر من استعماله طبًّا . فانهُ كثيرًا ما يحدث ان يصاب احد بألم مبرح فيداويهِ الطبيب بحقنة تحت الجلد من المورفين فيزول الالم للحال كأنهُ بقوة سحرية وحينما يزول فعل المورفين يعود الالم فيعاود الطبيب الحقنة الى ان يزول الالم تمامًا فيشفى المريض ولكنهُ يشعر بشيء من التعب والغم ويتذكر الراحة التي كانت تنالهُ عند استعمال المورفين فيستعملهُ لنفسهِ ولا يمضي الاَّ بضع دقائق حتى يشعر براحة وتنتعش قواهُ وتنقشع غيوم الهموم من امام عينيهِ . ويدوم على ذلك بضع ساعات ثم يعاودهُ التعب والغم فيعاود المورفين ويأخذهُ ولع بهِ ويضطر ان يزيد مقدارهُ مرة بعد اخرى لكي يبقى فعلهُ شديدًا . واذا اشتد بهِ هذا الولع وتمكنت منهُ هذه العادة لم يجد الى العدول عنها سبيلاً

وقد وصف احد الاطباء ما يشعر بهِ حينما يحين الوقت لاخذ المورفين فقال انهُ يشعر حينئذٍ كأن النمل يمشي على بدنهِ والدود يأكل لحمهُ . ويعقب ذلك تعب وضعف شديدان فتثقل اعضاؤهُ ويصير تنفسهُ تنهدًا ويضعف نبضهُ ويسرع وينقطع ويزيد خفقان قلبهِ ويسمع دويًّا في اذنيهِ ويشعر كأنَّ رأسهُ فارغ ولا يعود قادرًا على امعان نظرهِ في موضوع من المواضيع العقليَّة . وتنتشر حدقتاهُ قليلاً ولا يلوح في بالهِ حينئذٍ الاَّ الافتكار بالمورفين . واذا حاول احد منعهُ استشاط غيظًا وربما كسر ما امامهُ من الآنية والادوات انتقامًا من زوجتهِ اذا اخفت المورفين عنهُ . ثم اذا أُعطي المورفين تغيَّر اطوارهُ حالاً وتبرق اسرتهُ ويشعر براحة تامة ونشاط ويتنظم نبضهُ وتنفسهُ ويجلي صدأ دماغهِ فيعاود اشغالهُ العقليَّة وينطلق لسانهُ للكلام ويبلغ فعل المورفين اشدهُ فيهِ بعد ساعة

هذا حيث لا يستعمل المورفين الاَّ في العلاج واما اذا شاع استعمالهُ للتسلية فهناك البلية الكبرى لانهُ اشد فعلاً من كل المسكرات فان مدمن الخمر مثلاً قد ينقطع عنها اسبوعًا او شهرًا واما مدمن المورفين فلا يستطيع ان ينقطع عنهُ يومًا واحدًا

ولو اقتصر فعل المورفين على تسكين البال وتخدير الذهن لكان من انعُم الله التي لا تكفَّرُ . ولكنهُ سمٌّ بطيء الفعل ودود يخر العظام وكل من يعتادهُ لا بدَّ من ان يحصد نتيجة تعودهِ عليهِ عاجلاً او آجلاً فيصفر لونهُ وتزول قابليتهُ ويضطرب هضمهُ ويتولاَّهُ الارق وتستولي عليهِ الاحلام المزعجة وتحتصر افكارهُ في المورفين فيعدم لذة الحياة وتضعف ارادتهُ ولا يعود يصدق في اقوالهِ ولو كان من اهل العلم والفضل لا لانهُ يفضل الكذب على الصدق بل لانهُ لا يقدر ان يتكلم الصدق . ومما يزيد المرء اثمًا يعلم ذلك من

نفسه . وقد تتغير عواطفه فتنقلب محبته الى بغضة ووداعته الى شراسة وقد يكون الامر على الضد من ذلك وهو انه تولد فيه محبة وهو تحت سلطة المورفين لا وجود لها فيه

هذا اخص ما يصيب المولع بالمورفين فحين يرى نفسه عبدًا ذليلاً يشرع يستغيث بالاطباء فيجد منهم قولاً واحدًا وهو ابطل المورفين فتسلم والاَّ فانت ذاهب في سبيل من تقدمك من عبيده . وايُّ عبد من عبيد المورفين لم يشعر بثقل هذه العبودية ولم يحاول النجاة منها مرةً بعد مرةٍ بعد أُخرى ولكنه لم يجد الى ذلك سبيلاً . واكثر عبيد المورفين يعلمون سوء مصيرهم ويودون النجاة ولكنَّ دون ذلك اهوالاً لا يقتحمها الاَّ افراد قلائل ولا بدَّ لهم حينئذٍ من ان يسلموا امرهم للطبيب تسليمًا تامًّا وعلى الطبيب ان لا يغفل عنهم ساعةً والاَّ عادوا الى المورفين لانهم لا يجدون راحةً في سواه

وما من الم اشد من الم من يحاول ابطال المورفين فانه يشعر في اول الامر بقلق واضطراب عام ثم يزيد قلقه رويدًا رويدًا حتى يفوق الحد ويتهيج معدته حتى يستفرغ كل شيء وتضطرب اعصابه اي اضطراب حتى تكرهُ العين النور والاذن الصوت ويستولي عليه الارق وان نام قليلاً تولته الاحلام المزعجة والمخاوف الشديدة . فالارق الطويل والامتناع عن الطعام والعطاس والتثاؤب والقيء والم كل المشاعر كل ذلك يطرح عبد المورفين في وهدة اليأس فلا يرى له نجاةً الاَّ به وحينئذٍ تتنازعهُ قوتان عظيمتان الامل بالنجاة من هذه العبودية ووجوب التخلص من الحالة الحاضرة فيسأل الطبيب عن شيء يخفف آلامه عوض المورفين فلا يجد واذا تُرك الى نفسه حينئذٍ لم يجد له مناصًا من العود الى المورفين

وههنا مجال واسع للسلوى فانه مهما اشتدَّت هذه الآلام فهي قصيرة ولا بدَّ من ان تزول في بضعة ايام . ولا يمضي اسبوع او اسبوعان حتى تزول تمامًا ويعود الانسان الى الراحة والصحة التامَّة وينجو من سلطة المورفين ولا يعود يشعر باحتياج اليه

فعلى الطبيب ان يقدِّر عاقبة هذا العقار قبل استعماله وان لا يقاد للعليل ولا لذويه الاَّ اذا كان المرض شديد الألم وعاقبته الموت لا محالة فانه لا مانع حينئذٍ من المورفين لانه يسكن آلم الايام القليلة الباقية من الحياة وفي ما سوى ذلك لا يجوز استعمال المورفين الاَّ عند الالم المبرح الذي لا يزول بدونه ولا يجوز للمريض ان يستعمله لنفسه على الاطلاق . وعلى الحكومة ان تمنع الصيادلة من بيعه الاَّ بامر الاطباء وعن استعمال التذكرة الواحدة اكثر من مرة واحدة